٤

شرح خطبة الزّوراء

بسم الله الرحمن الرحيم

كتب إليّ بعض أصحابي كتابا، و شكى عمّا وقع من بعض الناس من الإنكار على عبارة الزوراء في الخطبة، حيث قيل: و الصّلوة منه على مرتبته الجامعة لجميع صفاته.

فقلت في جوابه*

سألتَ أيدك الله[1] بروح منه و حسن التوفيق، و رقاك من حضيض التقليد إلى يفاع[2] التحقيق، عمّا ورد في خطبة الزوراء، من قوله «و الصّلوة منه على مرتبته[3] الجامعة لجميع صفاته» و ذكرت

---

* أورد قطب الدّين الكوشبارى صاحب المكاتيب على قول المصنف في الزوراء «والصّلوة على مرتبته الجامعة» ثلاث أبحاث أُحدها انّ جعل الاشياء مراتب للحقّ عزّاسمه غير صحيح لانّه يستلزم قبول حقيقته التجزّى و الانقسام و ذلك دليل الامكان.

الثانى: انّ النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم اذاكان مرتبة للحق، عزّ و جلّ امتنع توجيه الصّلاة منه اليه و كان بمنزلة و الصّلاة منه على نفسه.

الثالث: أنّه إن اراد بكون الشيء جامعا لجميع صفات اللّه، اثبات ذلك له نظرا الى حقيقته تزعم الاتحاد، فهذا اذن أمر يعمّ الكون كلّه لا اختصاص له بالنبيّ صلّى الله عليه و آله ليمدح به، و إن اراد اثبات ذلك نظرا الى خصوص تعيّنه، فهو خال عن بعض أجناس الصفات كالوجوب الذاتى بلا خلاف و كالقدم عند الملّيين جميعا

و المصنف عليه الرحمة لدفع هذه الاعتراضات كتب هذه الرسالة.

١. سألت يا أخى أيدك الله. س. ل.

٢. ارتفاع. س.

٣. المرتبة. ل.

أنّه قد أغلطك[1] ما أبداه بعض الدهماء[2] من النكرة فى ذلك و التعبير عنه. و التمست أن أذكر لك ما يدفع ما أبدى[3]

فها أنا ذا تصدّيتُ لإسعاف مقترحك،[4] بعد تقديم[5] مقدمة هى أنّ هذا النمط من الكلام يتعالى عن مدارك الأوهام، بل عن مدارج اكثر العقول و الأفهام، فضلا عن أذهان من يحذو حذو العوام. فلا ينبغى أن يبالى بقبول أولئك و إنكارهم، و [لا يليق][6] أن يكترث بتاريهم فى الردّ و إصرارهم.

بل الحقّ[7] أن لايعبأ بهم فى خلاف و وفاق، و لا يلتفت إليهم[8] و إن كانوا فى عزّة و شقاق، و فى الوصيّة الّتى ختمت بها الرّسالة غنية عن ذلك حيث قيل:

و لا يضيق صدرك ممّن ينكر قدرك. و كن كما قال أفلاطون: لا يضرنّ جهل غيرك بك علمك بنفسك. و لقد صدق بعض الأصدقاء، اذ[9] عاتبنى بأنّك قد وصّيت بما لم تعمل به، حيث بالغت فى الأمر بصونها عن غير أهلها، ثم لم تحافظ على هذه الوصيّة، بل أوردتها موارد[10] التهاون و التقصير، حتى وقعت فى أيدى عصابة، مالهم منها حظّ سوى النكير. ولكن معذرتى فى ذلك أنّ الاطلاع على سرائر القلوب لايتيسّر إلّا لعلّام الغيوب.

و كفانى[11] فى ذلك ما نطق به الوحى الإلهى من أحوال المنافقين الّذين دلّسوا أمرهم على سيّد المؤيدين بالنفوس[12] القدسيّة، عليه أفضل الصّلاة و التحيّة حتى كشف اللّه تعالى عليه عوارهم و عرّفه ما يزيح عنه و عن أصحابه اصرارهم[13] ثم أعود إلى المقصود.

---

۱. و أنّه قد أغلطك. د. س.

۲. الدّها. س.

۳. ابداه. د. س. ل.

يفاع: بفتح الاول. التلّ. ما ارتفع من الأرض.

الدهماء: مؤنث الادهم بمعنى جماعة الناس.

٤. مسؤولك. د. س. ل.

۵. تمهيد. س. ل.

٦. ليس فى. س.

۷. بل يحق. د. س.

۸. و لا يرعب منهم. د ل ـ و لا يروعنّ منهم. لا.

۹. حيث. د. س. ل.

۱۰. مورد. د. س. ل.

۱۱. و كفاك. د. س. ل.

۱۲. بالأنفس. د. س. ل. ـ

۱۳. اضرارهم. ل. و لعلّه الصحيح. و يقال أصرّ على الأمر أى ثبت عليه، و اكثر ما يستعمل فى الشرّ.

الإسعاف: القضاء و الوفاء. يقال أسعف بحاجته أى قضا هاله.

فأقول من الأمور البيّنة، أنّ كلّ موجود من الممكنات يدلّ على وجود صانعه،[١] المتّصف بصفات الكمال، دلالة قطعيّة عقليّة[٢] فهو بهذا الاعتبار مظهر له، و قد عبّر عن تلك الدلالة فى لقران المجيد بالتسبيح و التحميد،[٣] حيث قال تعالى:

وَ إِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلٰكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ. الاسراء / ٤٤ و لمّا كان روح النطق و الأمر المقصود منه الإعلام، عبّر عن هذه الدّلالة بالنطق فى قوله تعالى

أَنْطَقَنَا اللّٰهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ. فصّلت / ٢١

و قد يقع للنفوس المشرقة أن يتّفق لهم محاكاة هذه الدّلالة بالنّطق الظاهرى، فيسمعونه كفاحا،[٤] كما ورد فى الحديث من سماع أصحاب النبيّ صلّى اللّه عليه و سلّم بسبب استضاءة مشكوة مشاعرهم بأنوار صحبته عليه السّلام تسبيح الحصاة، فى كفّه القدسيّة.

و لقد بالغ بعض أئمّة[٥] الكشف و التحقيق، حيث قال: خرق العادة إنّما هو فى سماع ذلك التسبيح، لا فى نفسه، فإنّه واقع دائما، و من أيقن[٦] الأصل[٧] الّذى أشير اليه فى تلك الرّسالة من نسبة الصّور إلى المعانى، لايحتاج إلى مزيد تقرير فى هذا المطلب.

ثم من المحقّقين من راى أنّ كلّ ذرّة من ذرّات الوجود، مظهر لبعض الصّفات الكماليّة الإلهية، و هو الصّفة الغالبة أحكامها، و إن كان جميعها متشاركة[٨] فى مظهرية الصّفات الّتى يتوقف عليها الإيجاد، فى الدّلالة عليها، كالعلم و القدرة و الإرادة، لكنّ الغالب على كلّ نشأة من النشئات حكم

←

لقترح: المختار و ما أجتبي.

يحذو حذو: أى يفعل فعل.

ن يكترث: أن يعبأ و يبالى.

التمارى: التخاصم و التجادل.

غنيه: بضم الاول و كسرها و سكون الثانى. الاكتفاء

عصابة: بكسر الأول الجماعة من الرجال أوالخيل اوالطير.

نكير: الانكار.

العوار: بتثليث الفاء. العيب

يع عنه: يذهب عنه.

١. يدلّ على صانعه. س.

. عقلية قطعية. د. س. ل.

٣. و الحمد. د. س. ل.

. الظاهرى كفاحا. د. ل.

٥. ارباب. خ. ل.

. اتقن. ل.

٧. الأصول. س. ل.

. و إن اشترك جميعها. د. س. ل.

صفة من الصّفات، كالمجرّدات فإنّها مظاهر[۱] الصّفات التنزيهيّة، و الأجسام فإنّها مظاهر الصّفات المقابلة لها، بل كلّ فرد من أفراد الموجودات، واقع تحت تربية إسم خاصّ، من أسمائه تعالى هو ربّه، لايشاركه فيه غيره من الموجودات.

ثم إنّ النشأة الإنسانيّة، مظهر جميع الأسماء و الصّفات، اذ قد اجتمع فيها جميع الحقائق من المجرّدات و الماديّات، و اللّطائف و الكثائف، إلى غير ذلك من التفاصيل الّتي تعرّض لها متتبعوا آيات الآفاق و الأنفس، فهو أنموذج لجميع العوالم، و ذلك سمّى بالعالم الصّغير.

و إلى هذا أشار من قال:

در جستن جام جم جهان پيمودم　　　روزى ننشستم و شبى نغنودم
خود جام جهان نماى جم من بودم　　　ز استاد چو وصف جام جم بشنودم

و ربما سمّى بالعالم الكبير، نظرا إلى سعة إحاطته العلميّة، حتى قال[۲] ابو يزيد رضى اللّه عنه: لو كان العرش[۳] و ماحواه ألف مرّة فى زاوية قلب العارف لما ملأه.

فإن قلت: أليس الإنسان جزء من العالم، فكيف يزيد على الكلّ؟

قلت: أهل الذوق يجعلونه من حيث الوجود الخارجى و ما يشتمل عليه من الأجزاء و الأحوال بحسب ذلك الوجود جزء من العالم، [و أمّا من حيث إحاطته العلميّة و اشتماله على سائر الموجودات الخارجيّة بحسب هذا الوجود، فليس جزء من العالم بل هو مشتمل عليه][٤] حتى يكون العالم الصّغير هو الموجودات الخارجيّة، و العالم الكبير هو الإنسان بجميع ما يشتمل عليه [من الموجودات][٥] الخارجية و الذهنيّة، فيزيد على العالم بالموجودات الذهنيّة.*

---

۱. مظهر. د. ل.

كفاحاً: بكسر الأول، أى مواجهة.

الحصاة: بفتح الأول واحدة الحصى، صغار الحجارة.　　۲. كما قال. د.

۳. لو أن يضع العرش. ل.　　٤. ليس فى نسخة. ل.

۵. ليس فى نسخة. ل.

* العالم ماخوذ من العلامة و لغة عبارة عمّا به يعلم الشىء، و اصطلاحا عبارة عن كلّ ما سوى الله تعالى لانّه يعلم به اللّه من حيث أسمائه و صفاته اذ بكلّ فرد من أفراد العالم يعلم اسم من الاسماء الالهيّة لانّه مظهر اسم خاصّ منها، فبا لاجناس و

←

فإن قلت: العالم الكبير أيضا يشتمل[۱] على الموجودات الذهنية، اذا العقول و النفوس الفلكيّة ناطقة، كما هو المشهور بين الفلاسفة [فإخراج تلك الموجودات الذهنية عن العالم و إدخالها فى العالم الإنسانى لا وجه له][۲]

قلتُ: أمّا العقول فلا إحساس لها مطلقا و أمّا النفوس الفلكيّة فلا إحساس لها بالحواسّ الظاهرة عند القائلين بإثباتها و تجرّدها و هم الفلاسفة. على أنّ أهل الذّوق يرون أنّ المجرّدات إنّما تعرّفه تعالى بالصّفات التنزيهيّة فقط. و النفوس الفلكيّة على تقدير تسليمها و تسليم تجرّدها، إنّما تعرّفه تعالى بالصّفات التنزيهيّة، و ما يعطيه نشأتها[۳] من اللّطافة و الدّوام على نهج واحد. بخلاف الإنسان الكامل، فإنّه من حيث أنّه مجموعة العوالم بأسرها يعرّفه تعالى بما يعطيه جميع النشئات كما قيل:

نه فلك راست مسلّم نه ملک را حاصل آنچه در سرّ سُويداى بنى آدم از اوست

و منهم من يرى أنّ كلّ موجود مظهر لجميع صفاته جلّ جلاله من حيث دلالته عليها كما أشار اليه من قال من المحققين الكلّ فى الكلّ و من قال:

←

الانواع الحقيقية يعلم أسماء الكليّة حتى يعلم بالحيوانات المستحقرة عند العوام كالذباب و البراغيث و البقّ و غير ذلك اسماء هى مظاهرها. فالعقل الاول لاشتماله على جميع كليّات حقائق العالم و صورها على طريق الاجمال عالم كلّىّ يعلم به اسم «الرحمن». و النفس الكليّة لاشتمالها على جزئيات ما اشتمل عليه العقل الأول تفصيلا أيضا عالم كلّىّ يعلم به اسم «الرحيم» و الانسان الكامل الجامع لجميعها اجمالا فى مرتبة روحه و تفصيلا فى مرتبة قلبه عالم كلّى يعلم به اسم «اللّه» الجامع للأسماء. و مرتبة نفسه و نشأتها انّها تتجلّى بصور مختلفة و بوجوه كثيرة من التكلّم و الاستماع و البصيرة و غيره و لكلّ واحد من هذه الصور آثار و أحكام و مع ذلك الوجوه الكثيرة و الأحكام و الآثار المختلفة لاينثلم وحدتها. فإنّ اللّه تعالى جعلها مثلالذاته و صفاته و أفعاله، فمن ينكر ذاته المقدّسة المجرّدة عن كلّ التعيّنات التى ليست داخلة فيها و لاخارجة عنها، فلينظر مثله الأعلى و آيته الكبرى و هوالنفس، فانّها مجرّدة عن كلّ التعيّنات، فهى ليست داخلة فى البدن و قواه، بل و لا فى العالم و لا خارجة عنها. و من ينكر صفاته العليا و أسمائه الحسنى، فلينظر جامعيّة النفس للصفات التنزيهيّة و التشبيهيّة، و من ينكر أفعاله تعالى فلينظر افعال النفس و لاسيّما ابداعها الكليات و اختراعها الجزئيات المثالية و إنشائه الجزئيات المحسوسة بالذات و غير ذلك من عجائب آيات الأنفس.

۱. مشتمل. د. ل. ۲. ليس فى د. س. ل.

۳. و ما يعطيها بنشأتها. ل ـ و ما يعطيه بشأنها. لا

در جستن جام جم زكوته نظرى هر لحظه گمانى نه بتحقيق برى
رو ديده بدست آركه هر ذرّه خاك جامى است جهان‌نماى، چون درنگرى

إلّا أنّ مراتب الظهور مختلفة، بحسب جلاء الدّلالة و خفائها، و إجمالها و تفصيلها، و الظّاهر الجلى فى كلّ مرتبة ما خلا مرتبة الإنسان، بعض الأسماء و الصّفات، و بعضها خفىّ لا يظهر أحكامها فيه و قد يعبّرون عن ذلك بالكون و البروز و يعنون به أنّ جميع الأسماء و الصفات مدمجة بنوع من الظّهور فى كلّ موجود، لكن بعضها فيه ظاهر الأحكام و الآثار، و بعضها خفىّ الأحكام و الآثار، مستور فيها إلّا الحقيقة الإنسانية، فإنّ جميع الأسماء و الصّفات فيها ظاهرة بآثارها و أحكامها، ظهوراً بيّناً ليس لها ظهور أقوى منه فى شىء من المراتب غيرها فهو كتاب مختصر منتخب من جميع العالم، لايغادر صغيرة و لا كبيرة إلّا أحصاها، فنسبته إلى جميع العوالم[۱] نسبة القران العظيم إلى الكتب السماوية حيث حوى مع و جازته جميع ما فى الكتب السّماوية بأسرها، بل حوى جميع الحقائق الخارجية و الذهنية و أحكامها، كما أشير اليه بقوله:

وَ لا رَطبٍ وَ لا يابِسٍ إلّا فى كِتابٍ مبين. الانعام / ۵۹

اذا جعل الكتاب المبين هو القران كما فسّره به بعض المفسّرين.

و هذه أمور متقرّرة عند القوم مفروغ عنها عندهم.

و لمّا كانت حقيقة الحمد إظهار الصّفات الكماليّة فقد ظهر أنّ كل موجود بمنزلة كلام صادر عنه جلّ جلاله [دالّ على صفاته الكمالية فهو حمد له تعالى صادر عنه بايجاد][۲] فايجاد كلّ موجود هو الحمد بالمعنى المصدرى الّذى بمنزلة التكلّم بالكلام الدالّ على الجميل، و نفس ذلك الموجود هو الحمد بالمعنى الحاصل بالمصدر، بمنزلة الكلام الدالّ عليه، و كما يسمّى الكلام حمدا بالمعنى الحاصل بالمصدر كذلك[۳] يسمّى نفس ذلك الموجود حمدا بذلك المعنى

و لمّا كان الانسان الكامل أعلى مرتبة فى تلك المنقبة[٤] من جميع الموجودات، فهو مرتبة من مراتب الحمد، مظهرة[۵] لا تّصافه تعالى بجميع الصّفات الكمالية، اظهاراً كاملا لايتصوّر أكمل منه،

---

۱. إلى العالم. د. س. ل.
۲. ليس فى نسخة. د.
۳. و كما يسمّى نفس الكلام حمدا كذلك. د. ل.
٤. المنصبة. ل.
۵. مظهر. س.

فإنّه بلسان حاله و باله و مقاله يدلّ على اتّصافه تعالى بجميع صفات الكمال، وينطق بـه بـتلك الألسنة كلّها، فهو أقصى مراتب الحمد الّتي حمدالله تعالى بها ذاته المقدّسة، و هـذه المـرتبة هـى المرتبة الختميّة المحمديّة و لذلك خصّ صلّى اللّه عليه و سلّم بلواء الحمد، و سمّى بالحمّاد[١] و الأحمد و غيرهما من مشتقّات الحمد اسم فاعل و مفعول[٢] و فى ذلك دقيقة يعرفها العارفون* و حينئذ يندفع شبهة[٣] القاصرين.

أمّا على النسخة الّتى ليس فيها الضمير،[٤] فلايحتاج إلى مزيد تقرير.

و أمّا على النسخة الأخرى،[٥] فلأنّ الضمير راجع إلى الحمد فيكون المعنى الصّلوة منه تـعالى

مُدْمَجة: أى مدخلة. ملفّة.

١. و فى بعض النسخ. الحامد.

٢. أو مفعول. د. س.

* و به يشعر قوله تعالى و ما ارسلناك إلّا رحمة للعالمين لأن أول رحمة الله لعباده الوجود و توابعه و ماحصل لموجود وجود إلّابمحمد من حيث أنه هو العقل الاول و الروح الكلّ و بهذا يعرف قوله تعالى: لولاك لما خلقت الا فلاك

يقين مى‌دان كه ما چندين عجايب | بـــراى يک دل بـينا نهـاديم
فـــرستاديم آدم را بــه صـــحرا | جمال خـويش بـر صـحرا نهـاديم

فلولاه ما كان لشيء وجود أصلا لأنّ العلة الأوليّة و الواسطة الكليّة لم تكن إلّا هو كالنّواة بالنّسبة الى الشجرة و كالبذر بالنسبة الى النبات.

و لهذا قال عليه الصّلوة و السّلام: أنا أوّل الانبياء خلقا و آخرهم بعثا...

و لولا أنّه فى هذه المرتبة و الجلالة من التعظيم و التبجيل و الكرامة لما قال فى حقّه: و إنّک لعلى خلق عظيم. القلم / ٤ لأنّ العظيم الاعظم لايقول لأحد إنّه عظيم إلّا و يكون ذلك الشّخص فى غاية العظمة عنده، فإنّه سبحانه العالم بالكلّ ماهية و حقيقة و صورة و معنى، و هو عالم باستعدادهم و قابليّتهم أزلا و أبدا فلو كان هناك اعظم منه عليه الصّلاة و السّلام لم يكن له هذا الكلام و لم يكن يصفه بهذه الصفة

واكّد ذلك بقوله: و علّمك ما لم تكن تعلم و كان فضل اللّه عليك عظيما. النساء / ١١٣

و «و لقد آتيناك سَبْعًا مِنَ المثانى و القران العظيم» الحجر / ٨٧

و افتخر عليه الصّلاة و السّلام بهذه المرتبة الجامعيّة «بأنّ آدم و من دونه تحت لوائى» و «علّمنى ربّى» و «أدّبنى ربّى» و «أوتيت جوامع الكلم» و «أنا سيّد ولد آدم و لافخر»

يَفْنَى الكَلامُ و لا يُحيطُ بِفَضْلِه | أيُحيطُ ما يَـفنىٰ بِـما لا يَـنْفَد؟

٣. شبه. س.

٤. بل العبارة فيها «المرتبة الجامعة».

٥. اي النسخة التى العبارة فيها «مرتبه الجامعة».

على مرتبة من مراتب الحمد الّتى هى المرتبة الجامعة لجميع صفاته تعالى، أى على حمد يكون حمداً له بجميع صفات الكمال، و فيه إشعار باسمه صلّى اللّه عليه و سلّم، فقد جعل فى هذه العبارة النبيّ عليه السّلام نفس الحمد الجامع، للدّلالة على جميع صفاته تعالى، كما مرّ تقريره.

و ليس فيه أنّه صلّى اللّه عليه و سلّم متّصف بجميع صفاته تعالى، و إطلاق نفس الحمد عليه بمعنى[1] الحاصل بالمصدر كما مرّ تقريره أو بطريق المبالغة كما فى رجل عدل، كما يشعر تسميته صلّى اللّه عليه و سلّم بالحمّاد، كما مرّ آنفا. فظهر معناه بحمد اللّه تعالى على وجه يستحليه ذوائق أرباب التحقيق، و يسوغ فى حلوق الرّضعاء الّذين لم يفطموا[2] عن رضاع لبان التقليد من أفاويق أخلاف أسلافهم.

و قد نزّلنا[3] فى ذلك إلى مداركهم تلميظا لينع الحقائق، و إيصالاً لها إلى أجوافهم. و أمّا العالمون البالغون إلى مراتب الرّجال من أهل التحقيق[4] الّذين اغتذوا بالأرزاق الرّبانيّة و الأغذية الرّوحانيّة، فلايحتاجون إلى ذلك.

فإن قلتَ: ما ذكرته إنّما يتّجه على النسخة الّتى يوجد فيها الضّمير، فيكون[5] راجعا إلى الحمد، و يكون المراد بجامعيّة الصّفات الكماليّة أنّه حمد مستجمع لو صفه تعالى بجميع صفات الكمال.

و أمّا على النّسخة التى ليس فيها الضّمير، فلايجرى هذا التوجيه اذ ليس فى اللفظ دلالة على أنّ تلك المرتبة من مراتب الحمد، ليكون المراد بجامعيّة الصّفات دلالته عليه[6]

---

١. بالمعنى. د. س. ل.

٢. لم يطعموا. د. الظّاهر أنه غلط.

٣. تنزّلنا. س.

٤. من أهل الكمال. د. س.

٥. ليكون. د. س.

٦. عليها. د ـ بجـ... بصّفات الكمال دلالته عليها. س.

يستحليه: يجده حلوا.

الرُّضَعاء: بضم الاول و فتح الثانى جمع الرّضيع.

لم يفطموا: لم يفصلوا من الرضاع.

اللّبان: بفتح اللّام مابين الثديين.

أفاويق: جمع فيقة. اسم اللّبن الذى يجتمع فى الضّرع بين الحلبتين.

قلتُ: يمكن جعل اللّام بدلا عن الإضافة فيرجع إلى المعنى الذى مرّ تفصيله، و مع قطع النّظر عن ذلك يمكن إرادة هذا المعنى منه بأن نعنى به مرتبة من مراتب الموجودات جامعة لجميع الصّفات من حيث الدّلالة عليها فإنّك اذا قلت هذا الكتاب جامع لجميع صفات زيد لم‌يتبادر منه إلّا دلالته عليها و لولم يكن فى هذه الصّورة التبادر فلايتبادر خلافه أيضا[1] فيمكن حمله عليه من غير نكير، هذا.

و من الأصول المقرّرة[2] عند أئمّة الكشف و التحقيق أنّه كما أنّ للصّفات أحكاما فى الذوات كالعلم فإنّه يصير به الذّات عالما و القدرة يصيربها قادرا إلى غير ذلك.

كذلك للذّوات أحكاما[3] فى الصّفات فإنّ العلم بانتسابه إلى الذّات القديمة يصير قديما وذاتيّا و بإضافته إلى الحادث حادثا و مستفاداً من الغير، و قس عليه الوجوب فأنّه فى ذاته معنى واحد يصير بالنسبة إلى الذّات الأحديّة وجوبا ذاتيّا و بالنسبة إلى غيره وجوبا غيريّا.

و لا شك أنّها[4] اذا قيل إنّ زيدا متّصف بصفات عمرو لم يرد به اتّصافه بتلك الصّفات من حيث الاحكام التى يستفيدها تلك الصّفات من ذات عمرو كتشخّصها بسبب القيام به وغيره من الأحكام التابعة لقيام تلك الحقيقة بعمرو، بل المراد به اتّصافه بتلك الحقيقة من حيث هى و حينئذ يظهر وجه آخر لمن وفق له فإنّ اتصافه صلّى اللّه عليه و سلّم بجميع صفاته لايستلزم كونه متّصفا بها مع أحكامها الّتى يلزمها من انتسابها إلى ذاته تعالى بل المعنى المفهوم منه على مامرّ تحقيقه اتّصافه بحقيقة تلك الصّفات من حيث هى مع قطع النظر عن الأحكام الناشئة من خصوصيّة ذاته تعالى على قياس ما مرّ من اتّصاف زيد بصفات عمرو.

و ما ورد فى الحديث من قوله صلّى اللّه عليه و سلّم خَلَقَ اللّهُ آدَمَ عَلىٰ صُورَتِه* المراد من الصّورة الصّورة المعنوية الّتى ترجع إلى الصّفة كما يقال صورة المسألة كذا. كما حقّقه الإمام

←

التلميظ: الإذاقة.

اليَنْع: بفتح الاول أوضمه و سكون الثانى مصدر ينع. يقال ينع الثمر أى أدرك و طاب و هان قطافه.

١. فلم يتبادر خلافه أيضا. ل.
٢. المعدّة. د. س.
٣. أحكام. ل.
٤. أنّه. د. س. ل.

* صحيح البخارى. كتاب الاستئذان باب ٦٥١ ـ المسند ج / ٢ ـ ٢٤٤ ـ ٢٥١ ـ ٣٢٣ ـ ٤٣٤ ـ ٤٦٣ ـ ٥١٩

حجّة الاسلام الغزالى و غيره من الأئمة الأعلام إنّما يبتنى على ما أشرنا إليه من تجريد الصّفات عن الخصوصيّات الناشئة من انتسابها إلى الذات المقدّسة تعالى، كما لا يخفى على من له أدنى فطانة.[١]

و أنت اذا تأمّلت وجدت أنّ حقائق الصّفات الإلهيّة، اذا جرّدت عن الخصوصيّات الناشئة عن الذات،[٢] كالقدم و الكمال الناشئتين من انتسابها[٣] إلى الذّات المقدّسة تعالى، صحّ اتّصاف النبيّ صلى الله عليه و سلّم بها، كالعلم اذا جرّد عن الذاتيّة[٤] و الكمال اللّازمين[٥] لذاته تعالى، و القدرة اذا جرّدت عن الكمال و الشمول[٦] اللّازم لذاته تعالى، و قس عليها غيرهما.

و ما لا يمكن الاتّصاف به هو الصّفات من حيث الأحكام التابعة للذّات. و ما ورد النّهى عن إطلاقه على غيره تعالى، فإنّما يرجع إلى اللّفظ لإيهامه ثبوت الأحكام التابعة للذّات.

وليكن هذا آخر الكلام فى هذا المرام، فإنّ المتبصّر اليقظان، ينتفع بهذا القدر و المعاند لا يزيده [هذا النمط من الكلام][٧] الّا استكباراً و عناداً كما قال اللّه تعالى:

وَ إنْ يَروَ اكُلَّ آيَةٍ لا يُؤمِنوُابِها حَتّى اذا جاءُوكَ يُجادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَروُ إنْ هذا إلّا أساطِيرُ الأوَّلِينَ. الانعام / ٢٥

و لقد صدق بقراط حيث قال: فى الفضول البدن الّذى ليس بالنقيّ، كلّما غذوته فقد زدته شرّا

و الكلام فى أصل الرّسالة مع الفرقة الأولى، فكان من اللائق أن لايلتفت إلى غيرهم، لكن لمّا كان إسعاف مقترحك دَيناً فى دين المروّة و حتما[٨] فى شرع الفتوّة، أقدمتُ على هذه الكلمات و اللّه يجعلها سببا لانتفاع الطّالبين الصّادقين، و يعصمنا عن رذائل أخلاق الهمج و المنافقين، و يبلغنا[٩] و

---

١. فطنة. س.

٢. عن الإضافة الى الذات. د. س.

٣. من انتسابهما. س

٤. عن الذات. س.

٥. و الكمال و الشمول اللازمة. د. س.

٦. اذا جرّدت عن الذاتية الكمال و الشمول. د ـ اذا جرّدت عن الذاتية و الكمال و الشمول. ل.

٧. ليس فى. س.

٨. و فرضا. د. س. ل.

٩. و بلغنا. س.

الهمج: بفتح الاول و الثانى. السّفلة من النّاس الحمق.

إخواننا إلى حيث ينكشف الغين عن العين، و لا يشوب فى نظرنا الصّدق بالمين، و يرتفع البين عن البين، و يندفع الكيف و الأين، و الصّلوة على من دنى فتدلّى الى أن جاوز قاب قوسين، و على آله و أصحابه المزكّين من كلّ شين، الفائزين بسعادة النشأتين و سيادة المنزلين.

فتمّ تحرير هذه الرّسالة المشتملة على جواهر التحقيق، المنطوية على فرائد التدقيق الّتى أظهرها غواصّ ذهنه الوقّاد، و حواسّ طبعه النقّاد، من بحار أفكاره الدقيقة و تيّار أنظاره العميقة، جلاء لأعين الناظرين، و إجلالاً لأفهام الراغبين، و حلاّلاً لأوهام الطّالبين، هو الّذى سمح به و نفح من زلال ينابيع حقائق الزّوراء اذا سنح إزالة الغشاء والجهل عن أعين المطالعين فيها بالعين العوراء و بيانا للسّائرين فى مسالك مسائله على الناقة العجفاء الخابطين فى فهم دلائله خبط العشواء و لهذا طال لهم فى الاتّكاء لسان الجدال، و عاد معالهم فى الآخرة إلى سواء الحال، و إذا لم يهتدوا بـه فيقولون هذا إفك قديم، و اللّه هو السّميع العليم و الهادى إلى سواء المستقيم، و الدّين القويم و السّلام على محمد و آله اجمعين[1].

←

البين: العداوة.

الشين: بفتح الاول و سكون الثانى ضدّ الزّين.

التيّار: موج البحر الهائج.

سمح به: جادبه.

سنح: عرض.

العوراء: مونث الاعور. و هو من ذهب حس أحدعينيه.

العجفاء: المهزول و النحيف.

الخابطين: أى السّائرين.

العشواء: مؤنث الاعشى و هو الّذى لايبصر بالليل. أوساء بصره باللّيل و النّهار.

الاتّكاء: الجلوس و إسناد الظهر أوالجنب إلى شيء.

المعال: اسم مكان من عال فى الارض أى ذهب و دار.

١. و فى نسخة «د» لقد تمّ تحرير الرّسالة الشّريفة بحمدالله و حسن توفيقه و الصّلوة على نبيّه و صفيّه و آله و وليّه فى العشر الآخر من ذى قعدة الحرام سنة ٩٤٤ فى المشهد المقدّس المعلّى المزكّى الرضوى.